مقياس : الفلسفة الأنغلوسكسونية **السنة الجامعية : 2021/2020**

أستاذ المقياس : الدكتور حابل ندير **مستوى : السنة الثانية ماستر غربية**

المحاضرة رقم 4 :

روورتي العقل الجسد وفلسفة الحياة

هل يمكن اعتبار ريتشارد رورتي فيلسوفا ما بعد حداثياً

من الوهم الحكم على ما بعد الحداثة باللاعقلانية أو اعتبارها تيارا فكريا مضادا للعقل مثلما ذهب إليه أنصار الحداثة ومنهم هابرماس في بعض مواقفه .

يرى رورتي أن المضمون الفكري لما بعد الحداثة -التي يعتبر نفسه منتميا إليها – يتوجه أساسا إلى انتقاد الخطاب الفلسفي التقليدي حول العقل ، حيث لا ينبغي التسليم بفكرة تميز العقل واعتباره جوهرا مفارقا مستقلا عن تحولات الواقع وحيثيات / ظروف السياق ، لأنه ليس معطى قبليا ولا معيارا منفصلا عن سياقاته وعن ظروفه التاريخية والاجتماعية

وبالتالي فإن فلسفة ما بعد الحداثة عندما انتقدت العقل والخطاب العقلاني فهي تستهدف تعرية الجانب اللامعقول في العقل أو المسكوت عنه في الخطاب العقلاني الذي كان يسوق أوهاما عقلية تمثلت في وهم المعقولية التي فشلت في فهم الواقع وإدراك حقيقته لأنها بقيت في نطاق التجريد والتنظير.

فالعقل – حسب رورتي - ليس أكثر من فاعلية فكرية نقدية يفترض أنها تتوجه نحو أنظمة الواقع ، العقل هو علاقة من علاقات إنتاج الحقيقة وبالتالي فهو لا ينفصل عن : الرمز والمادة والفن والمعرفة والعلم والتقنية التي تعتبر وقائع فكرية وإبداعية ولا ينفصل أيضا عن السياسة والمجتمع باعتباره يفكر فيهما .

يحاول رورتي هنا إعادة صياغة تعريف للعقل حيث لا يمكن أن يكون هذا العقل ماهيةً أو جوهرًا إلا عندما يكون في علاقة مع الوقائع التي تطرحها حقول : الفن والمعرفة والرمز والسياسة والدين و ..... ، بمعنى أن رورتي يرفض التعريف الكلاسيكي للعقل كماهية مجردة أو كجوهر ويصحح الفكرة إلى المفهوم الآتي : العقل ماهية وجوهر فقط عندما يكون منخرطا في قضايا الفن والمعرفة والسياسة وغيرها من وقائع الحياة التي تطرحها الحقول المعرفية والابداعية التي تهتم بالحياة ، ولا معنى لماهيته بعيدا عن قضايا الحياة .

يرى رورتي أن العقلانية الحداثية التي كانت تعتقد أنها تخلت عن الميتافيزيقا عندما حطمت العقلانية فكرة القداسة الإلهية في تفسير الظواهر علميا والتفكير فيها فلسفيا ، إلا أنها في الحقيقة لم تستقل عن الميتافيزيقا وكانت تقدم أوهاما و تمارس ميتافيزيقا جديدة عندما حولت القداسة الإلهية الغيبية إلى القداسة العقلانية ، وفكرة القداسة في حد ذاتها ميتافيزيقا تحد من التفكير في بعض النطاقات مثل مسائل الجسد وحقوقه وخطابه .

لهذا يحيلنا رورتي إلى التناول المابعد-حداثي للجسد كنموذج للمسكوت عنه ، فقد سعت الخطابات العقلانية إلى تغييب مطالب الجسد / حقوق الجسد ، ورغباته وحاجاته وحولته إلى تابو Tabou مسكوت عنه .

وهنا يحظر الوجه النيتشوي لمابعد الحداثة أين يكون الفن أمام مهمة اختزال المسافة بين الإنسان الأعلى والطبيعة ، وتنتعش الديونيزوسية الجسدية لتحقق للجسد مطالبه وحقوقه وتستعيد صورته الأولى قبل أن يشوهه العقل ، تحرير الجسد هو تحرير للذة والرغبة الجنسية وهو تحقق للبعد الفني كصورة مركزية لمابعد الحداثة التي تتأسس على البعد الفني بدلا عن البعد العقلاني (الفن قبل العقل) .

هنا يتفق رورتي مع جون فرونسوا ليوتارد الذي يرى أن الجسد هو أصل الفلسفة وهو أصل كل النشاطات الإنسانية ، وبهذا يستعيد الجسد مركز الاهتمام الفكري والفلسفي (ميرلوبونتي ، فوكو ، ليوتارد ...) ، وحتى الاهتمام الواقعي من خلال الثقافة التجارية والاستهلاكية التي أصبحت تهتم بمواد العناية بالجسد مثل ظهور محلات البودي شوب Body shop بداية من سبعينيات القرن الماضي ، وكذا محلات تعرض ألبسة الرقص الضيقة الملتصقة بالجسم ، و على المستوى الفني هناك عروض فنية حول الأعضاء المشوهة والأجسام المجلودة وأجساد مسجونة أو معاقبة ، وأخرى موشومة وهنا ظهور الوشم التاتو tatouage كتعبير جسدي عن مطالب متعددة ، اهتمام ما بعد الحداثة بالجسد يعتبر إحياءً لثقافة الجسد التي كانت موجودة منذ القديم مع الإغريق والرومان قبل أن تتحالف المسيحية مع النزعات الأخلاقية ويسعى هذا التحالف إلى تشويه الجسد ، أين كانت الرياضة طريقة لإظهار البنية الجسدية .

يرى رورتي أن فلسفة ما بعد الحداثة أدت إلى تحولات في مفهوم الجسد من التصور القديم الذي يرى الجسد مجرد جسم له حياة وينتقل هذا الجسم من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل عن طريق النفس أي لا معنى للجسد دون النفس ، لينتقل الجسد مفهوم مغاير تماما حيث لم يعد الجسد

مرتبطا بالنفس بمعنى أن هذا الجسم هو كيان قائم بذاته له كينونة وأنطولوجيا مستقلة لا تتأسس على النفس ، وهذا في حد ذاته نقد لفكرة الثنائية بين النفس والجسد ، هذه الثنائية التي كانت دائما ظالمة للجسد لأنها احتقرته واعتبرته تابعا للنفس وبدونها يكون مصدرا للشرور والرذائل .

لقد أصبح الجسد حسب رورتي مركز الثقافة المعاصرة أو الثقافة الجديدة التي هي ثقافة ما بعد الفلسفة التي تناولت بشكل جديد الحقول الأدبية و الإبداعية (الفن والسينما والمسرح ومتلف مجالات السمعي البصري ...) التي تحقق المتعة ، التي كانت مارس عليها العقل التبسيط والاختزال .

تمثل ما بعد الحداثة حسب رورتي ثورة جديدة في عالم الحياة حاولت تحرير الذوق من سلطة العقلانية الحداثية ، إعجاب رورتي بما بعد الحداثة ليس معناه رفضه المطلق للعقل والعقلانية ولا إنكارا للمبادئ الأولى للحداثة في صورتها النقية التي كانت تستهدف تحرير الإنسان من سلطة الميتافيزيقا بمختلف أشكالها ، بل هو رفض لتحول هذه الحداثة عن مسارها وتبنيها لممارسات قهرية شوهت المضامين الحقيقة للحياة . وعلى الفلسفة الحقيقة أن تتوجه نحو تحرير الحياة .

لهذا كانت البراغماتية الجديدة مع رورتي تنادي بفكرة ما بعد الفلسفة ، فما معناها وما مضامينها ؟